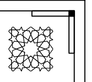
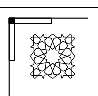

الأربعون
في الابتلاء
تأليف
خالد بن سعود البليهد



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد:

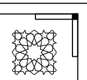
فهذه أربعون حديثا ممَّا ورد في باب الابتلاء: في سببه، وحكمته، وفضل الصَّبر عليه، والرِّضا به، وعظيم جزائه في الآخرة، وتكفيره للسَّيِّئات، وأنواعه، وأحوال الناس فيه.

وقد شرحت معناها على سبيل الاختصار، وقد أفردت هذا الباب لعظم خطورته، وكثرة وقوعه،

وشدَّة الحاجة إليه.

واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، نافعا لي يوم القيامة، إنَّه جواد كريم.

كتبه في الرياض
ابن بليهد الخالدي النجدي
١٤٣٨/٢/٢٧



الحديث الأول

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذىً، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

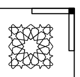
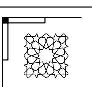
﴿مُتَّفَقٌ عَلَيهِ﴾.

دلَّ الحديثُ على أنَّ كل ما يصيب المؤمن من تعبٍ، أو ألمٍ، أو وجعٍ، أو مرضٍ، أو همٍ، أو غمٍ، أو حزنٍ؛ يكون سبباً في تكفير السَّيِّئات، ومحو الذنوب ورفعة الدَّرجات، وهذا خاص بالصغائر،

أمَّا الكبائر، فلا تكفر إلا بالتوبة الخاصة، منها كما ورد في السُّنة، وقال تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ۝٣١﴾ [النِّساء: الآية ٣١].

والمصائب تكفر السَّيِّئات إن لم يصاحبها تسخُّطٌ بمجرد وقوعها، ولا يشترط في حصول التكفير الصَّبر والاحتساب، لكن لا يؤجر ولا ترفع درجته إلا إذا صبر واحتسب؛ لأنَّ الثَّواب إنَّما يكون على العمل الصالح.

فالمصائب تحط السَّيِّئات، والطاعاتُ ترفع الدَّرجاتِ، وفي «مسند أحمد»: (أنَّهم دخلوا على أبي عُبَيْدَةَ بنِ الجرَّاحِ وهو مريض، فذكروا أنَّه يؤجر على مرضه؛ فقال: ما لي من الأجر ولا مثل هذه، ولكن المصائب حِطَّة).

الحديثُ الثانـي

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ».

﴿رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ﴾.

دلَّ الحديث على أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ إذا أراد بعبدٍ من عباده المؤمنين ثوابًا ورفعةً في الآخرة؛ أصابه بالبلاء؛ ليصبر، ويحتسب، ويتذلل، ويقبل على ربه.

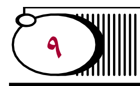
وفيه دليلٌ على أنَّ ابتلاء المؤمن الصابر أمارة على إرادة الخير له.

ولا يشرع للمؤمن طلب البلاء، وإنَّما المقصود الصَّبر

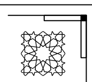
على البلاء عند وقوعه.

وفيه إشارةٌ إلى أنَّ المِحْنَةَ التي تنزل بالمؤمن الصابر؛ رَحْمَةٌ ومِنْحَةٌ من الله، وخيرٌ له في دينه، وإن كان ظاهرُها بلاءٌ وشرٌ، **قال الفضل بن سهل:** (إنَّ في العِلَلِ لنعمًا لا ينبغي للعاقل أن يجهلها، فهي تَمْحِيصٌ للذنوب، وتعرُّضٌ لثواب الصبر، وإِيْقَاظٌ من الغَفْلَةِ، وتذكيرٌ بالنعمة في حال الصحة، واسْتِدْعاءٌ للتوبة، وحضٌّ على الصدقة).





الحديث الثالث



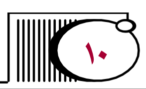
عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النبي ﷺ قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ».

[رَوَاهُ الترمذي وقال: «حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ»].

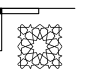
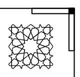
دلَّ الحديث على أنَّ الثَّوابَ والنَّعيمَ في الآخرة يَزِيدُ ويَكْثُرُ بِحَسَبِ البلاء والامتحان في الدنيا، فإنْ زادَ البلاءُ زادَ الثَّوابُ، وإن نَقَصَ البلاءُ نَقَصَ الثَّوابُ، **قال سفيان الثوري:** (إنما الأجر على قدر الصبر). قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ

حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٠].

ودلَّ أيضًا على أنَّ ابتلاءَ العبد دليلٌ على محبة الله له؛ ولذلك ابتلى أصْفِيَاءَه من الأنبياء والأولياء، خلافا لما يعتقده الجُهَّالُ أن الابتلاء دليلٌ على غضب الله.

ودلَّ أيضا على أنَّ المؤمن إذا رضي بالبلاء ، وإذا سخط منه سخط الله عليه، فالجزاء من جنس العمل.

وفي الحديث: ثُبُوتُ صِفَةِ الرِّضَا وصفة السخط لله تعالى على الوجه اللائق به، وهما من الصفاتِ الفِعْلِيَّة الثابتةِ في الكتاب والسنة، فالله يَرْضَى ليس كرضا المخلوق، ويَسْخَطُ ليس كسُخْطِ المخلوق، وقد أجمع أئمة السنة على إثبات الصفات الفعلية لله على الوجه اللائق به، خلافا للمؤوِّلة الذين يعطلونها ولا يثبتونها.

الحديث الرابع

عَنْ أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ؛ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

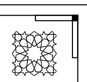
﴿رَوَاهُ الترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ﴾.

دلَّ الحديثُ على أنَّ نُزُولَ البلاءِ على المؤمن في نفسه، وأهله، وماله؛ يطهِّره من الخطايا والذنوب، حتى يلقى الله من غير خطيئة، وفي «موطأ مالك»: **«ما يزال المؤمن يصاب في ولده وخاصته حتى يلقى الله وليست له خطيئة»**.

ونزول البلاء بالمؤمن على وجهين:

إما أن يكون لتطهيره وتكفيره من السيئات، فهذا في ناقصي الإيمان، أهل التقصير المُفَرِّطِينَ في الفرائض، الخائضين في الشبهات والشهوات، قال ابن عباس: (يُعَجَّلُ للمؤمنين عُقُوبَتَهُم بذنوبهم ولا يُؤاخَذُون بها في الآخرة).

وإما أن يكون رفعة للدرجات، وكرامة له في الآخرة، وعلوا في المنزلة؛ فهذا في الكُمَّل من أهل الإيمان، ممن صَلَحَتْ سَرَائِرُهُم وظَوَاهِرُهم، ولم يُقَصِّروا فيما أمروا به، ولم يصروا على معصية. وينبغي للمؤمن إذا نزل به البلاء ألا يغتر بصلاحه في الظاهر؛ لأنه قد يكون مُتَلَبِّسًا بذنوب خفية، فليتَّهمْ نفسَه، ولْيُكْثِرِ من التوبة والاستغفار، وليفتشْ في قلبه، ويصلح قصدَه وعمله، وليطهرْ مالَه من الشُبُهَات.



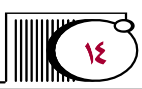
الحديث الخامس

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ؛ حَتَّى يُوَافِيَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

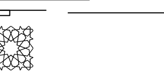
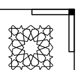
[رَوَاهُ الترمذي وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ].

دلَّ الحديث على أنَّ الله إذا أراد بالمؤمن خيرا؛ أصابه بالبلاء عقوبة له في الدُّنيا؛ ليكفر خطاياه ليستوفي منه ويطهِّره، فتعجيل العقوبة للمؤمن خير له من تأخيره يوم القيامة، وعذاب الدُّنيا أهون من

عذاب الآخرة، وتعجيل العقوبة للمؤمن: قد تكون في نفسه، وقد تكون في ماله، وقد تكون في أهله.

ودل الحديث على أن الله إذا أراد بعبده الشر؛ أخر عنه العذاب يوم القيامة، وأمهله واستدرجه بالنعم، ودفع عنه النقم في الدنيا حتى يبطر ويفرح بزينة الدنيا؛ لتزداد غفلتُه وغَيُّه، وتعظم عقوبته، ثم يلقى الله خاسرا غَرِقًا بسيئاته، وهذا حال الكافر والفاجر، قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيت الله**  **يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم تلا رسول الله** ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: الآية ٤٤]». رواه أحمد.

وقد دلت السنة على أن الله قد يجمع بين عقوبتين في الدنيا والآخرة لذنوب خاصة: البغي، وقطيعة، الرحم، فالبلاء بهذين الذنبين لا يدفع البلاء في الآخرة؛ لعظمهما، وشِدَّة خطرهما عند الله.

الحديث السادس

عَنْ سَعْد بنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

[رَوَاهُ الترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ].

دلَّ الحديث على أنَّ طائفة الأنبياء أكثرُ مَنْ يُبْتَلَى

في الأمم؛ لقوَّة بصيرتهم، وشدَّة يقينهم، وكَثْرَةِ صَبْرِهِمْ وتضرعهم إلى الله، ثم يأتي بعدهم في كثرة البلاء أكثرُ المؤمنين إيمانا، الأقرب إلى الله ليكثر ثوابه، ثم من قلَّ منهم، وهكذا يتفاوت أهل الإيمان في كثرة البلاء وقلَّته، كلٌّ على حَسَبِ منزلة إيمانِه وقُوَّة تَوَكُّلِه، فمن كان إيمانه أقوى كان بلاؤه أشد، ومن كان إيمانه أضعف خُفِّفَ في بلائِه.

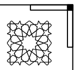
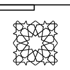
ودلَّ أيضًا على أنَّ البلاء مكفرٌ للخطايا، مطهرٌ للسيئاتِ، رافع للدرجات.

والبلاء عامٌّ يشمل كلَّ صورِ السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥]، قال ابن عباس: (نبتليكم بالشر والخير فتنة: بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال).

وينبغي للمؤمن أن يَقْتَدِي بحال الأنبياء في الصبر

على البلاء والرضا بالقضاء، فيصبر، ويرضى، ويسلم أمره لله ولا يسخط ربه، ويوقن أن ما نزل به من البلاء خير له من العافية.



الحديث السابع

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جده رضي الله عنه – وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ – قَالَ: سَمِعتُ رَسَولَ اللهِ يَقُولُ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ؛ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ، أَوْ فِي مَالِهِ، أَوْ فِي ولده، ثم صَبَّرَهُ عَلَى ذلك؛ حتى يُبْلِغَهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى».

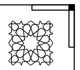
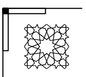
[رَوَاهُ أبو داود].

دلَّ الحديث على أنَّ صِنْفًا من المؤمنين يكون نُزُولُ

البلاء عليهم؛ سببًا لرفعة درجتهم ومنزلتهم في الجنَّة التي لم يَبْلغوها بعملهم، فَيَفْتَحُ الله عليهم بابًا من البلاء، ويوفقهم للصبر والاحتساب؛ لينالوا تلك الدَّرجة الرَّفيعة.

فإذا كان المؤمن لم يفتح عليه بكثرة العمل الصالح، وفُتِحَ عليه باب من الجنَّة: من فقرٍ، أو دَينٍ أو مرضٍ، أو ابتلاءٍ بعلاج والدٍ، أو رعايةِ ولدٍ معاق، أو قيامٍ على قريب مبتلى... ونحوه من الابتلاء الدائم؛ فليحتسبْ، وليقم بحق الله حتى يبلغ المنزلة العليا في الجنَّة بعبادة الصَّبر.

وفيه دليلٌ على أن الأعمال الصالحة سببٌ لرفعة الدرجات، وعلو المنازل في الجنة، أما دخول الجنة فبفضل الله ورحمته، والله يكتب رحمتَه للمحسنين من عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

الحديث الثامن

عَنْ صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

[رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

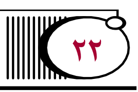
دلَّ الحديث على أنَّ سائِرَ أحوال المؤمن خيرٌ، وتؤولُ إلى خيرٍ لما فيها من الاطمئنان والسَّكينة والرِّضا في الدُّنيا، والأجر والرِّضا والنَّعيم في الآخرة، وهذا الفضل والتوفيق خاصٌّ بالمؤمن لعبوديته وإخلاصه

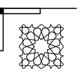
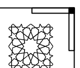
وحسن عمله وتعلقه بالله.

والمؤمن يتقلَّب في حالين:

الأولى: أن يكون في فسحة وغنى وعافية؛ فيشكر المُنْعِمَ ويغنم.

والثَّانية: أن يكون في ضيقٍ وضررٍ ومرضٍ وعسرٍ؛ فيصبر ويحتسب الثَّواب من الله؛ فيغنم وتحمد له العاقبة، فهو مأجور مَرْضِيٌّ عنه في كلا الحالين؛ لأنه استسلم لقضاء الله، وأيْقَنَ أنه عبدٌ لله يُصَرِّفُه كيف شاء، وهكذا تكون حياة المؤمن كلها في سعادة ونعيم وهداية، بخلاف الكافر والمنافق الذي يعيش حياة البهائم، إن كان في سعة ونعمة؛ بَطِرَ وتَجَبَّر ولم يشكرْ المَولى، وإن كان في ضيق وبُؤْسٍ؛ تسخط وجَزِعَ ولم يصبرْ ويحتسب؛ فهو شقي محروم في كلا الحالين؛ لأنه لم يستشعر العبودية، ولم يَذُقْ طعمَ الإيمان، وغَفَلَ عن حكمة الخلق.



الحديث التاسع

عَنْ جابِرٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيِّبِ فقَالَ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ تُزَفْزِفِينَ؟» فَقَالَتْ: الْحُمَّى لَا بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا. فَقَالَ: «لَا تَسُبِّي الْحُمَّى؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

[رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

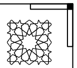
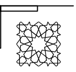
دلَّ الحديث على عيادة النَّبيِّ ﷺ المرضى، ومواساتهم، وعيادة المرضى ومواساتهم عبادةٌ جليلة، رتَّبَ الشارعُ عليها ثوابًا عظيمًا، كما ثبت في السنة:

من حصول معية الله، وصلاة الملائكة، ونزول الرحمة والمغفرة، وتحقق السعادة، ونعيم الجنة.

ودلَّ أيضا على النَّهي عن سبِّ الحمَّى التي تصيب المريض؛ لأنَّ الله يبتلي بها المؤمن لتكفير سيِّئاته ورفعة درجاته، كما تطهِّر النَّار الحديد وتزيل عنه العلائق، والله خلق الحُمَّى وسائرَ الأمراض لحكمةٍ، وهي مخلوقة لا تنفع ولا تضر إلا بإذن الله، وسَبُّها لا فائدة فيه، وفيه سوءُ أدب مع الله وقدحٍ في حكمته.

والحمَّى حارة، وعلاجها بالماء البارد، قال النبي ﷺ: «**إن الحمَّى من فَيْحِ جَهَنَّم فأبردوها بالماء**». رواه البخاري.



الحديث العاشر

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا.

﴿رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ﴾.

دلَّ الحديث على فضل الصَّبر على مرض الصَّرع،

وأنَّ جزائه الجنَّة.

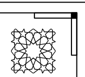
والصرع: قد يكون مرضا حسيا، وقد يكون من تلبس الجن، وهذا الفضل عام في كل مرض مُزْمِنٍ فيه مشقَّةٌ ظاهرةٌ، والابتلاء بالسرطان أشد، فمن احتسب الثَّواب وصبر فله الجنَّة، فهذا الحديث فيه بشارة عظيمة لأهل الأمراض المُزْمِنَةِ.

وفيه جواز ترك التَّداوي لمن قدر على الصَّبر ابتغاء الأجر في الآخرة؛ كما فعلت هذه المرأة الصابرة، وهذا يشرع لمن كان عظيمَ التوكل، ونفسه تصبر على الشدة.

وفيه فضلُ عفاف المرأة، وحرصُها على السِّتر حتى في الظروف الطَّارئة؛ لأن هذه المرأة الصالحة طلبت من الرسول ﷺ الستر وعدم التكشف حال الصرع؛ فدعا لها، وتحقق طلبها، وهذا سبيل المؤمنات العفيفات الطاهرات.

وفيه دليلٌ على أن الدعاء سببٌ شرعيٌ نافعٌ ومؤثرٌ بإذن الله في علاج الأمراض؛ عند تحقق شرطه وانتفاء موانعه، وهذا شيء مجرب، فلا ينبغي للمؤمن أن يهمل هذا السبب، كما أنَّ الرُّقْيَةَ الصحيحةَ نافعة مع الأخذ بالعقاقير النافعة عند الأطباء، وإذا أحسن المريض التوكل على الله وأخذ بالأسباب النافعة؛ شفاه الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٨٠].





الحديث الحادي عشر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي». قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ. فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ. فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فلم تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى».

[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

في الحديث دليلٌ على وجوب الصَّبر عند المصيبة.

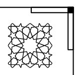
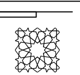
ودلَّ على أنَّ فضل الصَّبر وثوابه يكتب عند أول

صدمة المؤمن بالمصيبة؛ بحيث يحتسب ويسترجع ويملك قلبه ولسانه وجوارحه عما يسخط الله، فهذا هو الصَّبر الممدوح الذي يترتب عليه الثَّواب. أمَّا إذا تسخَّط عند المصيبة، ثم سَلَى عنها لفوات الوقت؛ فقد فاته الأجر؛ لأنه لم يصبر ويحتسب.

وفيه دليلٌ على أنَّ رفع الصَّوت بالبكاء عند القبر ينافي الصَّبر الواجب؛ لأنه من التسخُّط على قدر الله، وعدم الرضِّا بحكمه؛ ولذلك أمر النبي ﷺ المرأة بالصبر وترك الجزع.

وفيه تواضع النبي ﷺ مع علو شرفه، فحياته كانت بسيطة بعيدة عن مظاهر الترف والفخر.

وفيه رِفْقُ النبي ﷺ بالجاهل، وصبره على أذى الناس، وعدم الانتقام لشخصه؛ لأن مقصوده نصرة دين الله وهداية الخلق، وينبغي على الدعاة أن يتأسوا به ولا يغضبوا لأنفسهم.

الحديث الثانـي عشر

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ».

[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

دلَّ الحديث على فَضْلِ التَّعفُّف عن سؤال الناس والاستغناء عما في أيديهم لمن قلَّ مالُه وضاقت حاله.

والمؤمن يتعفف عن الخلق لاستغنائه بالله، وصبره، وكمال توكله على الله، وترفعه عن ذلةِ ومنةِ الخلق.

وفيه دليلٌ على أن من تعفف عفَّه الله، ومن استغنى بالله أغنى قلبَه، وأوسعَ رزقَه، وكفاه همَّه ونَفَّسَ كربَه، ومن استغنى بالمخلوق خَذَلَه، وأفقر قلبَه، وأذلَّه، وتخلَّى عنه، ومن يبذل وسعه ويجاهد في تحصيل الصَّبر؛ يعينه الله، ويفتح عليه أبواب الصَّبر.

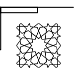
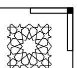
ودلَّ الحديث على أنَّ العبد لا يُعْطَى عَطَاءً أفضلَ وأعظمَ من الصَّبر؛ لأنَّ الصَّبر جزاؤه عند الله عظيما بغير حساب.

وهذا الحديث أصل عظيم في تسلية وتعزية من ابتلي بالفقر والشِّدة.

وفي الحديث دليلٌ على عظم كرم النبي ﷺ، وشدة تعلقه بالآخرة، وزهده بمتاع الدنيا، وحرصه على تفريق

المال على المؤمنين وإنفاقه في وجوه البر، وهذه الخلة تسكن في القلب إذا ملئ باليقين والتوكل وحسن الظن بالله.



الحديث الثالث عشر

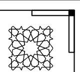
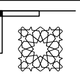
عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ فَقَالَ: انْظُرَا مَاذَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ؟ فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاءُوهُ حَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ؛ رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى الله وهو أعلم فيقول: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبَدِّلَ لَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دمه، وأن أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ».

﴿رواه مالك وَهُوَ مُرسَلٌ صَحِيحٌ﴾.

دلَّ الحديثُ على فضل ثناء المُبْتَلى بالمرض على

الله وحمده، وهذا هو مقام الصَّبر حال البلاء، وقد تَكفَّلَ اللهُ لمن فعل ذلك بالبركة في بدنه حالَ شفائِه، وبدخول الجنَّة وتَكْفِير سيِّئاته حالَ وفاتِه، وهذا يدلُّ على عظيم ثواب الصَّابر بالمرض، فينبغي على المؤمن إذا ابتلي بالمرض أن يكثر من الحمد والثناء على الله، وأن يجتهد في حفظ لسانه عن التَّشكِّي للمخلوق، ولا يظهر الجزع ويلزم ذلك؛ حتى تكفَّر خطاياه وترفع درجاته، وقد كان السلف الصالح في مرضهم يبالغون في حفظ كلامهم، والاحتياط لدينهم من الوقوع في التَّشكِّي لغير الله.



الحديث الرابع عشر

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ؛ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ».

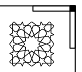
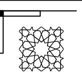
[رَوَاهُ الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ].

دلَّ الحديث على فضل وثواب أهل البلاء يوم القيامة، جزاءَ صبرهم ورضاهم بالبلاء والبؤس، وحرمانهم من النَّعيم في الدُّنيا؛ بحيث يتمنَّى أهل العافية أنَّ جلودهم تقرض بالمقاريض لما يرونه من كثرة وعظم الثَّواب على البلاء، وهذا فيه عزاء عظيم لأهل البلاء في الدُّنيا، وكثير

من الناس يَعُدُّ البلاء نقمةً، وإذا استشعر المؤمن فضل البلاء وثوابه في الآخرة؛ انقلب البلاء في حقه الى نعمة، وفتح له باب المناجاة، ولذة العبادة، وقوة الاتصال بربه، والرجاء وحسن الظن بالله، وغير ذلك من أعمال القلوب ومقامات العبادة ما تعجز العبارة عن وصفه، قال وهب بن منبِّه: (لا يكون الرجل فقيها كامل الفقه حتى يعد البلاء نعمة ويعد الرخاء مصيبة).

ومن فضائل البلاء: أنه يكسر قلب المؤمن، ويطرد عنه الغفلة، ويوقظه من الرقدة، **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (مصيبةٌ تُقْبِلُ بها على الله خيرٌ لك من نعمةٍ تُنْسِيك ذِكْرَ الله).



الحديث الخامس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ؛ إِلَّا الْجَنَّةُ».

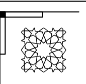
[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ].

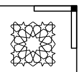
دلَّ الحديث القدسي على عظم فضل الصَّبر على فقد الحبيب في الدُّنيا: من زوج أو ولد أو أخ أو صاحب أو غيره ممن يصطفيه المؤمن، ويخلص في حبه، وأنَّ مَنْ صبر على ذلك، واحتسب ثوابه عند الله؛ فله الجنَّة، ويكون الصَّبرُ والاحتسابُ بِتَرْكِ كل

ما يسخط اللهَ من الأقوال والأعمال المحرمة، سواءً كانت باطنةً أو ظاهرةً، وينبغي للمؤمن أن يسلى عن المصيبة، وينشغل بما ينفعه في دينه ودنياه، ويبتعد عن كل ما يهيج حزنه ويجدد آلامه، والأسى لا يرد غائبا، ولا يَشْفِي غليلًا، والرحيل عن الدنيا طريق سيسير عليه كل مؤمن، والملتقى بالأحبة بإذن الله في الجنة ورحمة الله واسعة، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٥].









الحديث السادسَ عشَر

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا».

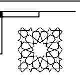
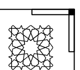
﴿رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ﴾.

دلَّ الحديث على أنَّ المؤمن إذا عرض له عارض المرض أو السَّفر؛ كتب له أجر جميع الأعمال التي كان يواظب عليها من النَّوافل وهو في حال الصحة والإقامة ولم يستطع الإتيان بها لهذا العارض، ولأحمد من حديث أنس رفعه: «**إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء**

في جسده قال الله: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمله، فإن شفاه غسله وطهَّره، وإن قبضه غفر له ورحمه». وهذا يدلُّ على كمال كرم الله وجوده ولطفه بعباده؛ أن أجرى عليهم ثواب الطاعات حال عذرهم وعملهم بالإحسان.

وفيه بشارة للمريض الذي عجز عن التقرُّب لله بالنَّوافل.

وفي الحديث إشارة وتنبيه للعاقل أن يكثر من العمل الصالح حال فراغه وصحته، حتى إذا طرأ عليه عارض يمنعه من العمل كتب له عمله السابق، قال ابن عمر: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك...)، أما إذا قصر الانسان بالعمل حال سلامته؛ فإنه يندم إذا مرض أو عجز لتفريطه ولا ينفع الندم حينئذ.

الحديث السابع عشر



عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ تقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا». قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

[رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

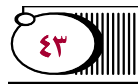
دلَّ الحديث على مشروعية أن يقول المبتلى بمصيبة: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي

وأخْلِفْ لي خيرًا منها، ومن قال هذا الذِّكر حال وقوع المصيبة موقنا به؛ أعطاه الله ثواب الصَّبر على المصيبة، وعوضه الله أفضل وأحسن مما فقده، وبارك له في أمره، فجمع له بين خيري الدُّنيا والآخرة، وقد أثنى الله على من استرجع حال المصيبة وبشره بثلاث بشائر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧]، ولمَّا فقدت أم سلمة رضي الله عنها زوجها - وكان من أحسن الرجال- ثم قالت هذا الذِّكر موقنة بفضل الله صابرة محتسبة للأجر؛ عوَّضها الله خيرا من زوجها فزوَّجها رسول الله ﷺ، وكانت تظن في نفسها ألا يأتيَها رجل أطيب من زوجها.

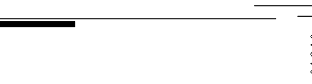
وهذا الذكر يَتَضَمَّنُ اعتراف المؤمن اعترافا تاما بتدبير الله لشؤونه، وإقراره بالمعاد، وأن أمره كله

يرجع إلى الله وحده، وفقره إليه، وحسن توكله عليه، وتفويض الأمر إليه، وطلب الثواب منه، وحسن العاقبة في المآل وتغيير الحال، فهو ذكر جليل اشتمل على التوحيد، وأهم مقامات العبودية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فَاطِر: الآية ١٥]، وقال سعيد بن جُبَيْر - مبينًا فضل هذا الذكر -: (لم تُعْطَ هذه الكلمات نبيًا قبل نبينا، ولو عَرَفَها يعقوب لما قال: يا أسفى على يوسف).





الحديث الثَّامِن عَشَر



عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا». قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ».

[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

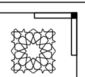
هذا الحديث أصلٌ في ابْتِلاءِ المؤمنين بظلمِ الأمراء وفسادهم، واسْتِئْثَارِهِم بثروات الأمَّة، ومنْعِهم حقوقَ الرَّعية، وقد وقع ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ منذ زمنٍ بعيدٍ، واشتهر ذلك في سائر الأزْمَان، وهو علمٌ من أعلامِ نبوته.

ودلَّ الحديث على وجوبِ الصَّبر على ظلم الأئمة، والسَّمع والطاعة لهم بالمعروف؛ فيؤدي المؤمن حقَّهم، ويسأل الله حقَّه الذي ضيَّعوه، ويَحْرُمُ عليه الخروجُ عليهم، وتَحْرِيضُ الرعيةِ والتشويش عليهم، وورد الوعيد على مفارقة الجماعة، ودلَّت السُّنةُ على أنَّ من صبر على ظلمهم في الدُّنيا ورد على حوض النَّبيِّ ﷺ في الآخرة، ويا لها من بشارةٍ وفضلٍ يسلِّي المؤمن الصَّابر، وأجمع أهل السُّنة على هذا الأصل، وخالفهم الخوارج والمعتزلة والرافضة، وقد أوصى أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الناس بالصَّبر حين شكوا إليه ظلم الحجَّاج، **وقال الحسن البصري**: (إنَّ الحجَّاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم الاستكانة والتَّضرع فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٧٦]. ونصَّ الإمام أحمد على أنَّ الخروج على أئمة الجور ابتداع وخروج عن طريق السُّنة.



الحديث التاسعَ عشَر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ؛ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ». يُرِيدُ: عَيْنَيْهِ.



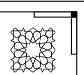
[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

دلَّ الحديث على فضل من صبر واحتسب الثَّواب على فقد بصره وأصبح كفيفا لا يرى، وأنَّ الله يجازيه مقابل صبره على هذا البلاء العظيم بالجنَّة، ونعيم الجنَّة، وسرورها الدائم في الآخرة أعظم وأبقى من نعيم البصر في الدُّنيا.

وهذا الحديث بشارة عظيمة للمكفوفين الصَّابرين، أمَّا المكفوفُ المتسخِّطُ فقد جمع بين شقائين في الدُّنيا والآخرة.

ويدخل في هذا الفضل من ولد بلا بصر، وعاش فاقدًا لهذه النعمة العظيمة، وهو صابر محتسب لا يتسخط ولا يشتكي لمخلوق، والله سيعوضه لذة متصلةً في الجنة، وسرورًا لا ينقطع جزاء صبره في الدنيا.





الحديث العِشْرون

عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا. فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ». فقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلْ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى: مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ؛ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا».

[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

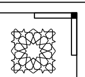
دلَّ الحديث على مضاعفة المرض والحمَّى على

رسول الله ﷺ؛ لمضاعفة أجره، وذلك لقوَّة إيمانه، وكمال توكله، وعظيم صبره.

وفي هذا دليلٌ على أنَّ الثَّواب يزداد بزيادة البلاء.

وفيه جواز إخبار المؤمن غيره بما نزل به من البلاء لغرض صحيح، كالاستشارة والاستشفاء... ونحوه، أمَّا إذا كان من باب التَّشكِّي للمخلوق فيحرم؛ لأنَّه ينافي الصَّبر والأدب مع الله.

وفيه دليلٌ على أنَّ الحمَّى تكفِّر الخطايا وتحط الذنوب كما تسقط الشجرة جميع ورقها في فصل الخريف، فهي مطهِّرة للمؤمن بشرط ترك التسخُّط، وإن صَبَرَ أُجِرَ على ذلك ورُفِعَتْ درجته، قال يزيد بن مَيْسرةَ: (إن العبد ليمرض وما له عند الله من عمل خيرٍ، فيُذَكِّرُه اللهُ سبحانه بعضَ ما سلف من خطاياه، فيخرج من عينه مثلُ رأس الذباب من الدمع من خشيةِ الله، فيبعثه الله مطهرًا، أو يقبضه مطهرا).



الحديث الحادي والعشرون

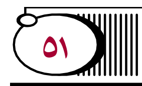
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ، لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ، وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ. وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ، لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ».

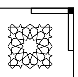
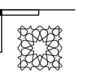
[رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

دلَّ الحديث على اختصاص البلاء بالمؤمن؛ -غالبا- لتطهيره من السَّيِّئات، وتعجيل عقوبته في الدُّنيا، ورفع درجته في الآخرة، وحتى لا يركن إلى الدُّنيا، ولا تطول غفلته، ويرجع إلى ربه. فالمؤمن حاله متقلِّبة مع البلاء،

كالشجرة الضعيفة تَكَفَئُهَا الريح يمنةً ويسرةً ولا تُزِيلُها، وأمَّا الكافر والفاجر الذي ركن إلى الدُّنيا ونسي الآخرة؛ فيمهله الله ولا ينزل به البلاء، ويَمُدُّ له في النَّعيم ويستدرجه بالنِّعم؛ حتى إذا انتهى أجله أخذه دَفَعَةً واحدةً، كحال شجرة الأَرْز القوية التي لا تضرها الريح ولا تسقط حتى تُقْلَعَ من أصلها.





الحديث الثاني والعشرون

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى».

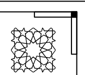
[**رَوَاهُ أَبُو دَاوُد**].

الحديث يدلُّ على أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان من هديه إذا نزل به بلاء أو أمر مهم؛ قام إلى الصَّلاة والتجأ إلى ربه، ورفع حاجته إليه، وتبرَّأ من حوله وقوته وعلَّق قلبه بالله، وأحسن الظن بربه ولم يلتفت إلى المخلوقين.

وفي هذا دليلٌ على أنَّ الصَّلاة من أعظم أسباب دفع البلاء وتخفيفه، وكذلك الصدقة والذكر والدعاء

وتلاوة القرآن؛ تجبرُ الكَسِيرَ، وتَشْرحُ الصدرَ وتصلحُ الحال، وتربط على قلب المؤمن، ورُوِيَ أنَّ عبد الله ابن عباس  نُعي إليه أخوه قَثْمٌ، وهو في سفرٍ فاسترجع، ثم تنحَّى عن الطريق فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: (اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ).





الحديث الثَّالث والعشرون

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كان يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

في هذا الحديث دعاء الكرب، يقوله المؤمن إذا نزل به البلاء، اقتداءً بهدي النبي ﷺ؛ ليكشف الله كربه ويفرِّجَ همَّه.

فالدعاء سلاح فعَّال في رفع البلاء أو تخفيفه،

قال ابن تيمية : (الدعاء سبب يدفع البلاء فإذا كان أقوى منه دفعه وإذا كان سبب البلاء أقوى لم يدفعه، لكن يخففه ويضعفه؛ ولهذا أمر عند الكسوف والآيات بالصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة).

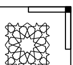
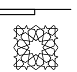
وقد اشتمل هذا الدعاء على أعظم المعاني الشَّرعية: من التَّوحيد والثَّناء والتَّمجيد.

وتضمَّن الاعتراف بافتقار المبتلى إلى رحمة الله وكرمه وحلمه ولطفه، ورضاه بتدبيره لتمام ملكه وتمام حكمته.

وفيه دليلٌ على ثبوت العرش لله وهو أعظم المخلوقات، والله جل جلاله مستوٍ فوق العرش استواءً يليق بجلاله كما دلَّ القرآن والسُّنة الصحيحة، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وأجمع أئمة السُّنة على ثبوت هذه الصفة لله تعالى على ما يليق به، خلافا للمعطلة من المتكلمين الذين نفوا حقيقة

الاستواء وحرفوا معناه؛ فخالفوا الحق الذي كان عليه أئمة السلف، واتَّبعوا عقولهم الفاسدة، **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: (أصل الاستواء على العرش ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة، بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل).



الحديث الرابع والعشرون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ؛ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ».

[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

دلَّ الحديث على جواز بكاء المؤمن بدمع العين، وجواز حُزْنِ القلب عند فقد الحبيب، كما بكى النَّبيُّ ﷺ لفقد ابنه إبراهيم؛ لأنَّ هذا من مُقْتَضَى الرَّحمةِ والرَّأفةِ التي يحبُّها الله، ويرحم بها، ولا يؤاخذ عليها؛ لأنَّها لا تنافي الصَّبر الواجب، أمَّا رفع الصَّوت بالبكاء والنِّياحة فهي كبيرة نهى عنها النَّبيُّ ﷺ كما ورد في الصحاح.

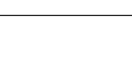
ودلَّ الحديث على أنَّ المؤمن حالَ البلاء لا يتكلم إلا بما يُرْضي الربَّ، ولا يحلُّ له أن يتكلم بما يُسْخِطُ الربَّ، كالاعتراض على حكمه، أو سؤال ربَّه لما فعلت بي هكذا وأنا أحبك... ونحو هذا من الكلام المحرم الذي يتفوَّه به بعض الجهلة المسيئين ظنَّهم بالله، - والعياذ بالله - والله يبتلي أولياءه وأصفياءه لحكمة بالغة، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

وقد ورد في «الصحيحين» قولُ النبي ﷺ: «**إن**

الميت لَيُعَذَّبُ ببكاء أهله عليه».

والمراد أنَّ الله ليؤاخذ ويعذب من كان يُقِرُّ في حياته النياحة في أهله ولا ينكر عليهم، أو من أوصى أهله بالنياحة عليه بعد موته، أمَّا من لم يأمرْ أهله بذلك، ولم يكن سببًا فيه؛ فلا يؤاخذ شرعًا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٤].





الحديث الخامس والعشرون

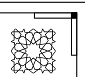
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُم الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي».

[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

دلَّ الحديث على كراهة تمنِّي المؤمن الموت لمصيبة نزلت به مهما كانت؛ لأنَّ في بقائه مصلحةً راجحة، فإن كان محسنا يزداد من الخير، وإن كان مسيئًا يتوب من معصيته، فإن همَّ بالدعاء فليقيِّد دعائه

بالأصلح، فيقول: ياربِّ، اخْتَرْ لي الأصلحَ في بقائي أو موتي على حَسَبِ عِلْمِكَ وحِكْمَتِك، أمَّا إذا خشي الفتنة في دينه فلا حرج في تمنِّي الموت، كما وردت الرخُصْةُ بذلك ليسلم دينُه، ويموتَ على الإسلام وحسن الخاتمة، وقد فعل ذلك جماعة من السلف، **قال علي** رضي الله عنه -في آخر خلافته، عندما رأى أنَّ الأمور لا تجتمع له، ولا يزداد الأمر إلاّ شدَّة -: (اللهم خذني إليك فقد سئمتهم وسئموني)، **وقال أحمد بن حنبل** رحمه الله: (أنا أتمنى الموت صباحا ومساء أخاف أن أفتن في الدُّنيا). **وقال البخاري** رحمه الله - لما وقعت الفتنة بينه وبين أمير خراسان، وجرى فيها ما جرى -: (اللهمَّ تَوَفَّنِي إليك).





الحديث السَّادس والعشرون

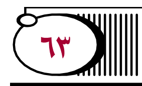
عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُنَّ مِنْ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً؛ إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنْ النَّارِ». فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ».

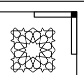
[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

دلَّ الحديث على فضل صبر الوالد على فقد أولاده، وعظيم جزائه في الآخرة، وأنَّ ما فَقَدَه من الولد يكون حاجزًا يمنعه من دخول النَّار، والشفاعة له في دخول

الجنة إذا كانوا اثنين فأكثر، ومن زحزح عن النَّار أدخل الجنَّة، وفي حديث أنس عند البخاري: «**ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْثَ إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم**»، وهذا الفضل عامٌّ في الولد الذي بلغ الحنث أو لم يبلغ الحنث، والذكر والأنثى، والمشقَّة في فقد البالغ أعظم، وكلَّما زاد العدد كان الثَّواب أعظم.

وأطفال المسلمين في الجنة، **قال الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أطفال المسلمين لا يختلف عليهم أحد أنهم في الجنة)، أمَّا أطفال المشركين فقد ورد في «الصحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سئل النبي ﷺ عن ذراري المشركين؟ فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**».





الحديث السابع والعشرون

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي. فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ. فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ».

[رَوَاهُ الترمذي وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ].

دلَّ الحديث على فضل حمد المؤمن واسترجاعه عند فقد ولده – ثمرة فؤاده –؛ مما يدلُّ على رضاه

بقدر الله وانشراح صدره؛ لأنَّ الله اختار له الخيرة الحسنة في ولده، وجعله سببًا مباركًا في دخول الجنَّة والشفاعة له يوم القيامة، وهذا مقام الرِّضا والتسليم لله؛ ولذلك كافأه الله بنعيم خاصٍ، ببيت في جنَّة الخلد تبنيه الملائكة وتسمِّيه بيت الحمد جزاءَ حمده في الدُّنيا، فمن حَمِدَ الله في الدنيا حُمد فعله في الآخرة، وهذا الموقف العظيم من أعظم مواطن الحمد في الدُّنيا.

وفي هذا الحديث تسلية لكل من فقد ولده، وبيان عظم أجره وعلو منزلته؛ إذا صبر واحتسب وحمد الله ولم يجزع.

الحديث الثامن والعشرون

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ؛ فَمَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا».

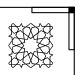
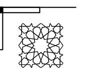
[رَوَاهُ ابْنُ حِبَّان].

دلَّ الحديث على أنَّ بعض المؤمنين يكتب له منزلة رفيعة في الجنَّة، ولكنَّه مقصِّر في العمل الصالح في الدُّنيا، إمَّا لتفريطه بالفرائض، أو زُهْدِه في النوافل، أو ارتكابِه النواهي، فمن حكمة الله أن ينزل به البلاء: من فاقة، ومرض، وخوف، وفقدٍ، وهم...، ويفتح

له بابَ الصبر ليكفِّر سيِّئاته، ويرفع درجاته، ويكثر حسناته؛ حتى يبلغ بهذا البلاء المنزلة الرَّفيعة التي أعدَّها اللهُ له في الآخرة.

وفي الحديث دليلٌ على أن البلاء سبب لتكفير السيئات، ورفعة الدرجات، وبلوغ المنازل العالية في الجنة.



الحديث التاسع والعشرون

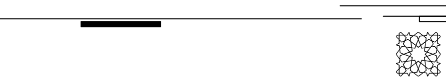
عَنْ جُنْدَبِ بن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ فَجزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

دلَّ الحديث على تحريم قتل المؤمن نفسه ليتخلَّص من ألم المرض والجراحة، وأنَّ هذا العمل من الكبائر التي توجب دخول النَّار؛ لأنَّ الله ائتمنه على هذه النفس، وأوجب عليه صيانتها؛ فلا يملك التَّصرف

فيها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النِّساء: الآية ٢٩].

والحديث يدل على أنَّه لا يباح للمسلم أن يقتل نفسه تحت تأثير التعذيب ليرتاح من هذا الجحيم، بل الواجب عليه في مثل هذه الحال الصَّبر حتى يلقى ربه وهو راض عنه، ومن استعان بالله وتصبَّر أعانه الله، ويحرم على المسلم الانتحار، مهما بلغ به البلاء، وعظم عليه الخطب، وأظلمت عليه الدُّنيا، ومن انتحر دخل النَّار، والواجب على المؤمن الصَّبر على شدائد الدُّنيا، واحتساب ثوابها عند الله. واتَّفق أهل السُّنة على أنَّ قاتل نفسه لا يخلد في النَّار كسائر أهل الكبائر؛ لصريح القرآن والسُّنة، وقد تضافرت الأدلَّة بذلك، أمَّا الخوارج فضلوا الطريقَ وزعموا أنَّه مخلدٌ في النَّار.



الحديث الثلاثون

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ».

[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

دلَّ الحديث على النَّهي عن تمنِّي التعرض لقتال الكفار، والإرشاد إلى سؤال العافية، والصَّبر عند اللقاء.

وهذا الحديث أصلٌ في نهي المؤمنِ عن طلب

البلاءِ والتعرُّضِ له، والاعتماد على نفسه وتزكيتها؛ لأنَّه لا يدري ما يعرض له، وما تكون حالُه حين نزولِ البلاء به، فقد يَضْعُفُ إيمانُه، ويفقدُ صبرَه ويجزع، ويكون وبالا عليه؛ فيقع في المحظور، فنُهِيَ عن ذلك لاعتماده على حوله وقوته، وهذا من العُجْبِ، ومن اتَّكل على حوله وقوَّته خذله الله في الشَّدائد، وقد كان النبي ﷺ يدعو في الصباح والمساء: «**يا حي يا قيوم، برحمتك أسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لي شأني كلَّه، ولا تَكِلْنِي إلى نفسي طَرْفَةَ عَيْنٍ**». رواه النسائي.

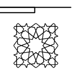
وفيه دليلٌ على استحباب سؤال العافية، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يكثر من الدُّعاء بها، ولباس العافية أفضل وأوسع للمؤمن من البلاء، والعافية: كلُ خيرٍ في الدِّين، والبدن، والمال، والأهل، والحال، وقال مطرِّف ابنُ عبد الله: (لأَنْ أُعافى فأشْكُر أحبُّ إليَّ من أنْ أُبتلى فأصبر).

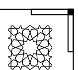
ودلَّ الحديث على وجوب الصَّبر عند لقاء العدو، وقد أرْشَدَ اللهُ المؤمنين عند اللقاء بالثبات والذكر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال: الآية ٤٥]، فالإِكْثَارُ من ذكر الله، والاستعانة به، وسؤاله الصبر والتثبيت والظفر بالأعداء؛ من أعظم الأسباب المعينة على النصر على الكافرين، وقد كان النبي ﷺ يدعو عند لقاء العدو، كما ورد في «الصحيحين»، وكان يكبر عند الحرب، وقد ورد في السنة وعيد شديد للتولي يوم الزحف.

وفيه أنَّ الجهاد المشروعَ الموافقَ لهدي النبي ﷺ؛ طريقٌ إلى الجنَّة وسببٌ لدخولها.









الحديث الواحد والثلاثون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا بْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».

﴿رَوَاهُ مُسْلِمٌ﴾.

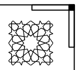
دلَّ الحديث على أنَّ ما يقع على المؤمن من البؤس في الدُّنيا: من قلَّة ذات اليد، وضيق الحال، والحرمان من متع الدُّنيا، وقهر الرِّجال، وغربة الأوطان مع صبره

وحمده؛ سينقلب إلى نعيم عظيم، وسرور دائم في الآخرة، ينسيه ما كان فيه من بؤس، بمجرد غَمْسَةٍ واحدةٍ في نعيم الجنة، وهذا يوجب له التَّفكُّر أنَّ هذه الدُّنيا وإن طالت عليه؛ ما هي إلا أيام قليلة، فليصبرْ على لأْوَائِها، وليلزمْ الطاعةَ، وليتمسَّكْ بالشرع، وليحسنِ الرجاءَ بربه، وعليه باليقين بوعد الله وثوابه، وقد دلت النُّصوص على أن النعيم اليسير في الجنة؛ خير من الدنيا وما فيها، والعذابَ اليسير في النار؛ أشدُ من جميع عذاب الدنيا، وإذا تفكر المؤمن في هذا المعنى صبر، وآثر نعيم الآخرة على نعيم الدنيا، وبلاء الدنيا على بلاء الآخرة.

وفيه إشارة إلى أن الدنيا للمؤمن دارُ بلاء، جُبِلَتْ على البَأْسَاءِ والهموم والأحزان، وأن الجنَّة دار نعيمٍ، خُلِقَتْ للسرور والأفراح والخلود، والمؤمن العاقل لا يؤثر الدنيا الزائلة على الجنة الباقية، قال تعالى: ﴿بَلْ

﴿تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، قال قتادة: (فاختار الناس العاجلة إلا من عصم الله).





الحديث الثانـي والثلاثون

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

﴿رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ﴾.

دلَّ الحديث على أنَّ الابتلاء لدعاة الحق الذين يدعون إلى توحيد الله وطاعته، ونبذ الشرك ووسائله؛ سنُّة ماضية، ومنهج مشهور لأعداء الله في كل زمان، وأعظم ما يبتلى به الإنسان ما يكون في إسلامه وإيمانه واتِّباعه للسنُّة؛ لأنَّ ذلك قد يفضي به إلى وقوعه في الفسق أو البدعة أو الكفر؛ فيخسر دينه، والدِّين أعظمُ ما يملكه المسلم في حياته.

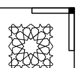
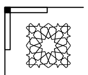
وفيه إرشادُ الدَّاعية إذا ابْتُلِيَ بالصَّبر وقوَّة التحمُّل، والثَّبات على الحق، وعدم اليأس، واحتساب الأجر عند الله.

وفيه بيان لسنُّة نبويِّة حكيمة في التؤدة والتأنِّي في نشر الحق والسنُّة، وعدم الاستعجال في تحصيل الثمرة، فإنَّ تغيير المنكر وإزالة الباطل الذي تربى عليه الناس ونشئوا عليه؛ يحتاج إلى صبر وحكمة وعناء طويل، ومن استعجل الثَّمرة، ودعا بلا حكمة، وخالف السُّنن؛

فسدت دعوته، وانحرف عن الجادَّة، ونفَّر الناس عن الحق.

وهذا الحديث أصل في ابتلاء الدعاة وصبرهم، وقد يكون الابتلاء بالأموال وزينة الدنيا؛ أشد فتنة من الابتلاء بالعذاب والضرَّاء، **قال بعض السلف:** (فتنة الضراء يصبر عليها البرُّ والفاجرُ، ولا يصبر على فتنة السَّرَّاء إلا صِدِّيقٌ).



الحديث الثالث والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ».

[رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

وصف النَّبيُّ ﷺ الدُّنيا بوصفين جميلين، يحملان المرء على الافتتان والاغترار بها:

الأوَّل: أنَّها حُلْوَةُ المذاق.

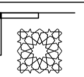
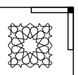
والثَّاني: أنَّها خَضِرَةُ اللون، بحيث يفتتن من نظر

إليها وذاق طعمها، ثم بيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ الله زيَّنها وزخرفها لنا؛ ليمتحننا ويختبرنا بها، وينظرَ ماذا نعمل بملذَّاتِها ونعيمها، فمن طغى فيها، وآثر نَعِيمَها على الآخرة بارتكاب الشهوات والتفريط في الطاعات؛ كانت الجحيم مأواه، ومن خاف الوقوف بين يدي الله، ونهى نفسه عن هواها، واستعملها فيما أذن الله به؛ كانت الجنَّة مأواه فالمؤمن يتَّقي فتنة الدُّنيا وزخرفها، ويعمرها بالمعروف، ويجعلها في يده، ويخرجها من قلبه، كحال السلف، ولا يبيع دينه بعرض من الدُّنيا، **قال شُمَيْطُ بنُ عَجْلَانَ:** (رجلان معذَّبان في الدنيا: رجل أُعْطِيَ الدنيا، فهو متعوب فيها ومشغول بها، وفقيرٌ زويت عنه الدنيا، فنفسه تَتَقَطَّعُ عليها حسراتٍ).

ودلَّ الحديث على عظم فتنة النِّساء، فيما مضى وفي هذه الأمَّة؛ لأنَّ النُّفوس مجبولة على حب النِّساء والميل إليهن، والفتنة بهنَّ سريعة الوقوع، والاختلاط

بهن في الأماكن العامة مما تعمُّ به البَلْوَى، وتشتدُّ إليه الحاجة، والرجل أضعف ما يكون في أمر النِّساء لا يصبر عَنْهُنَّ، فمن تساهل في جانب النِّساء، ورعى حول الحِمى؛ استزله الشيطان وأوقعه في الحرام، ومن شدَّد على نفسه، واحتاط لدينه، وسلك الورع؛ سلم من الفتنة بهنَّ، وقد كان السلف يبالغون في الاحتياط في توقي فتنة النِّساء، **قال سعيد بن المُسَيِّبِ:** (ما يَئِسَ الشَّيطانُ من شيءٍ إلا أتاه من قبل النِّساء).



الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ».

[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ].

دلَّ الحديث على أنَّ الله تعالى يبتلي عباده المؤمنين من أمَّة محمد بمرض الطَّاعون؛ ليرحمهم بتطهير سيِّئاتِهم ورفعة درجاتهم، وقد كان عذابًا فيمن قبلهم، وهذا من

فضائل هذه الأمَّة.

وفيه دليلٌ على أنَّ الابتلاء وإن كان ظاهره شرًا ومشقَّةً؛ إلا أنَّه خير ورحمة للمؤمن.

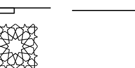
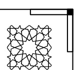
وفيه دليلٌ على أنَّ من أصابه الطَّاعون، فبقى في بلده ولم يفر، صابرا محتسبا فمات؛ فهو شهيد.

وهذا الفضل - فيما يظهر - عامٌّ في كل وباءٍ مُعْدٍ يَنْتَشِرُ في البلاد ويُهْلِكُ العباد.

والمشروع في السنُّة حين وقوعه على بلد؛ عدم الدُّخول عليها، ومن كان فيها عدم الخروج منها؛ لأجل الفرار منه، أمَّا من خرج لغرض صحيح، ولم يقصد الفرار منه؛ فلا يدخل في النَّهي الوارد.

وقد ورد في «الصحيحين» أن الطاعون لا يدخل المدينة، وهذا من خصائصها دون سائر البلاد.



الحديث الخامس والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، بَدَا لِلَّهِ عز وجل أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ، - هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ، إِنَّ الْأَبْرَصَ وَالْأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ الْبَقَرُ - فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ:

يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ، وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ. قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا.

وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا؛ فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ غَنَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأبرص فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ

فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلا بَلاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا؛ فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ. وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ

بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي؛ فَخُذْ مَا شِئْتَ، فوالله لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ! فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ».

.

هذا الحديث أصل في الابتلاء بالنِّعم وشكرها، فإنَّ الله يعطي العبد، ويغدق عليه صنوفا من النِّعم، ويوسِّع عليه في السَّراء؛ ليمتحنه ويبتليه، هل يشكر هذه النِّعم، ويقوم بحقها، أم يكفر بها، ويجحد المنعم الذي أسدى إليه؟ فإن شكر وقام بحق المنعم؛ استقرَّت النِّعم وزادت من باب الإحسان كحال الأعمى، وإن جحد واستكبر، وأنكر الجميل؛ زالت النِّعم ومحقت

من باب العقوبة، كحال الأبرص والأقرع.

فشكر النِّعم سبب لبقائها، والكفر بالنِّعم سبب لزوالها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٧]. فالنعم إذا شُكِرَتْ قرَّت، وإذا كُفِرَتْ فرَّت.

والشكر ثلاثة أركان: اعتراف القلب بنعمة الله، واعتراف اللسان بالمنعم، وعمل الجوارح في طاعة المنعم وقد يؤخِّر الله العقوبة عن الكافر بالنِّعم؛ ليستدرجه ويشدِّد عليه العذاب في الآخرة والابتلاء بالخير أشدُّ على النُّفوس وأعظم فتنة من الابتلاء بالشَّر، وكثير من الناس يصبر إذا ابتلي بالضَّراء، ولا يصبر إذا ابتلي بالسَّراء.

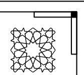
وهذا الحديث تذكرة وعِظَةٌ للأغنياء الذين فتنوا بأموالهم، وتجاهلوا حقوق الفقراء والمحاويج.

وفي اقتصار الأعمى على طلب البصر، ولم يشترط أن يكون حسنًا كصاحبيه؛ دليلٌ على فضل القناعة

بالكفاية، وهذه منزلةُ أهلِ الزهد والورع؛ ولذلك اختار الغنم من المال.

وفيه دليلٌ على أنَّ شكر النِّعم سبب لرضا الله، وكفر النِّعم سبب لسَخَطِ الله.





الحديث السادس والثلاثون

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى».

[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ].

دلَّ الحديث على أنَّ المال فِتْنَتَهُ عظيمة؛ لحلاوته

وحسنه، والله يختبر به العباد في الدُّنيا، وسيسألهم عنه يوم القيامة، فمن أخذه عن طيب نفسه، من غير سؤال ولا استشراف له؛ كان المال هنيئًا مباركا فيه، ومن أخذ المال من غير حقه، أو طَمِعَتْ نفسه إليه، وكان حريصًا على امتلاكه؛ كان المال خَبِيثًا ونُزِعَتْ منه البركة، ولم تشبع نفسُه، وأصيب بالشَّره.

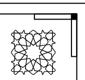
وقد ورد الذمُّ والوعيد في سؤال الناس بغير حق، كما ورد في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سأل الناس أموالَهم تَكَثُّرًا؛ فإنما يسأل جمرًا، فلْيَسْتَقِلَّ أو لِيَسْتَكْثِرْ**»، ومن امْتَهَنَ السُّؤالَ ألقيت عليه الذِّلَّة والمهانة، وقد وردت الرُّخْصَةُ بالسُّؤال عند الحاجة، والرخصة في سؤال السلطان، كما في «جامع الترمذي» عن سَمُرَة بن جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المسألة كدٌ، يكد بها الرجل وجهه، إلا أن يسأل الرجل سُلْطَانًا، أو في أمرٍ لا بدَّ منه**»، والتعفف

أفضل لمن قويت نفسه على ذلك، ومن رخصت له المسألة لفقره، ثم اغتنى؛ وجب عليه أن يُمْسِكَ ويتعفف عن السؤال.

ودلَّ الحديث على أنَّ المُعْطِيَ أفضلُ من السائل، وفي كلٍ خيرٌ، وهذا يدل على فضل التَّرَفُّعِ والاسْتِغْنَاءِ عما في أيدي الناس؛ ولا يدخل في هذا قبولُ الهدية والهبة من غير سؤال؛ لما ثبت من قول النبي ﷺ وفعله، وليس كثرةُ المال علامةً على سعادة العبد، ومحبة الله له، ولا قلَّةُ المالِ علامةً على شقاوة العبد، وبغض الله له؛ لأنَّ الله يعطي الدُّنيا من يحب ومن لا يحب، ويمتحن العباد بهذا المال، وقد وسَّع الله على الكفار في هذه الدُّنيا في الملذات؛ فتنةً لهم؛ ليشدِّد عليهم العذاب في الآخرة قال تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحقاف: الآية ٢٠]، والسَّعيد

من أطاع الله في كل أحواله، فشكر في السراء، وصبر في الضراء.





الحديث السابع والثلاثون

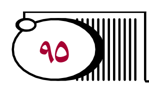
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، أَوْ شَقَّ الْجُيُوبَ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

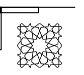
[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

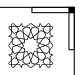
دلَّ الحديث على تحريم ضرب الخدود، وشقِّ الثوب، والنِّياحة، والدُّعاء بالويل والثبور عند نزول البلاء، وأنَّها ليست من طريقة النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنَّما حرَّمها الشارع وشدَّد فيها؛ لما فيها من إظهار الجزع والتَّسخُّط على القضاء وسوء الظنِّ بالله، وهذه الأفعال كانت

شائعةً عند أهل الجاهليَّة، ولا تزال موجودةً عند بعض أمم الكفر وجهال المسلمين، فيحرم على المؤمن عند المصيبة أن يقول أو يفعل أمرًا منهيًّا عنه - سواءٌ تعلق به أو بغيره - من إتلاف وتعدي، بل يجب عليه أن يصبر ويحتسب الثَّواب من الله، ويسلِّم أمرَه لله، وهذا هو الفارق بين المؤمن والكافر حال البلاء، فالمؤمن يصبر ويسلِّم، والكافر والفاجر يتسخَّط ويعترض.

وقد ورد وعيدٌ شديدٌ للنَّائِحَةِ يوم القيامة، قال النبي ﷺ: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها؛ تقام يوم القيامة وعليها سِرْبَالٌ من قَطِرانٍ ودِرْعٌ من جرب**». رواه مسلم.







الحديث الثَّامِن والثلاثون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ».

﴿رَوَاهُ مُسْلِمٌ﴾.

وَعِندَ الْبُخَارِيِّ بِلَفْظِ: «يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ».

دلَّ الحديث على تحريم سبِّ الدَّهر عند نزول المكروه، وهذا الحكم عامٌّ في كل نوع منه، فيشمل:

سبَّ السَّاعة واليوم والليلة والشَّهر والسنَّة، وإنَّما نُهي عن ذلك؛ لأنَّ الدَّهر مخلوق لا يتصرَّف بالقدر، ولا يستقلُّ بالأمر، وإنَّما هو ظرف للبلاء، والمتصرِّف والمقدِّر حقيقة هو الله جل جلاله.

وسبُّ الدَّهر من فعل أهل الجاهليَّة، فإذا سبَّ المؤمن الدَّهر انصرف السبُّ لله؛ لأنَّه هو الفاعل والمنزل للبلاء؛ فحُرِّم هذا القول، وإن كان قد لا يخطر على بال المؤمن، تنزيها لله، وصيانة لحقِّ الله جل جلاله.

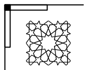
وبعض الجهال يظنُّ أنَّ الزَّمن له تأثيرٌ في سوء القضاء، وقد يَتَشَاءَم ببعض الأوقات، وكل هذا باطل في الشَّرع؛ لأنَّه ينافي كمال التَّوحيد الواجب، أمَّا إذا وصف المؤمن الدَّهر بالمكروه والشِّدة من باب الإخبار، وليس على سبيل التَّسخُّط والذَّم؛ فهذا جائز؛ لأنَّه لا ينافي الإيمان بالقضاء، وقد ورد في القرآن على لسان لوط عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿هَٰذَا

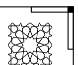
يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ [هُود: الآية ٧٧].

ولا يسمَّى الله بالدَّهر، ولا يوصف به؛ لأنَّ الدَّهر ليس من أسمائه ولا من صفاته.









الحديث التاسع والثلاثون

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: (ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. فَقُلْتُ: مَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ. قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ - التَّمْرُ وَالْمَاءُ -، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنْ الْأَنْصَارِ، كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ).

[مُتَّفَقٌ عَلَيهِ].

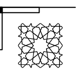
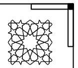
هذا الحديث يُبَيِّنُ شَظَفَ عَيْشِ النَّبيِّ ﷺ وأزواجِه، وصبرَهم على الكفاف وقلِّة الزاد، وقد اختار الله

لنبيه ﷺ هذه الحال؛ لحكمةٍ بالغة، وآثر النَّبيُّ الفقر والزُّهد في الدُّنيا على حياة الملوك والمترفين.

وهذا الحديث فيه تسليةٌ لكل مؤمنٍ ابْتُلِيَ بالفقر والدَّيْن، وضاقت عليه الدُّنيا فصبر ورضي بقسمة الله، واستغنى بالله ولم يشتك لمخلوق، ولم يرتكب ما حرَّم الله، وعاش مُتَعَفِّفًا، وآثر نعيم الجنَّة، وقد ورد فضل عظيم للفقير الصَّابر، **وقال الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصَّبر على الفقر مرتبة لا ينالها إلا الأكابر).

وفيه فضل الإحسان للجيران بالطَّعام، وقبول الشَّريف للهديَّة من غير سؤال واستشراف.

وفيه صبر الزوجة الصالحة على ضيق الحال وقلة المال، والتعبد لله بهذا الخلق، وابتغاء ما عند الله من الأجر والرضا، خلافًا لما عليه كثيرٌ من الزوجات في هذا الزَّمان. والله المستعان.

الحديث الأربعون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ».



[رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

هذا الحديث فيه تسليةٌ وعزاءٌ للمبتلى في بدنه أو ماله أو حاله، وإرشاده إلى النَّظر إلى من كان دُونَه في الحال والنِّعم، وترك النَّظر إلى من يفوقه ويتميَّز عنه بصنوف النعم؛ ليشكر ربَّه على ما آتاه من النِّعم، ولا يزهد فيها، ويحمده على ما فقده من النِّعم، فإن

كان فقد نعمةً فغيره ممَّن دونه فقد نعمتين، وإن كان فقد نعمتين فغيره فقد ثلاثًا... وهكذا، وإن كان فقد نعمةَ المال فغيره فقد العافية، وفقد الأمن، وهما أشدُّ من نعمة المال، وإن كان فقد نعمةَ البصر فغيره فقد السَّمع والكلام، وإن كان فقد عضوًا فغيره مشلول لا يتحرك، فمن تأمل في أحوال أهل البلاء ممن شدد عليهم؛ أيقن أنَّه وإن كان مبتلى فهو في نعمة يغبطه عليها من فقدها.

وفيه دليلٌ على أن نظر المؤمن، وتطلعه إلى من هو أعلى منه حالا في الدنيا؛ يجلب له الهم، ويورث له الغم، ويحمله على احتقار ما عنده من النعم، ويفضي به إلى الحسد وقلة الشكر، والانصراف عن العمل للآخرة.

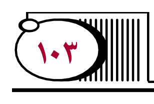
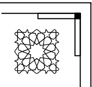
فينبغي للمؤمن أن يحرص على صحبة الفقراء، ويزهد في صحبة الأغنياء، **قال عون بن عبد الله** رحمه الله:

(صَحِبْتُ الأغنياء فلم أر أحدا أكثر همًّا مني؛ أرى دابَّةً خيرًا من دابتي، وثوبًا خيرًا من ثَوْبِي، وصحبت الفقراء؛ فاسترحت).

وينبغي للمؤمن أن يتفكر، إن كان الله أخذ منه نعمة فقد أعطاه نعمًا أخرى، وإن أغلق عليه بابًا فقد فتح له أبوابًا أخرى، قال عروة بن الزبير - لما قطعت رجله اليسرى -: (لئن أَخَذْتَ لقد أبْقَيْتَ، ولئن ابْتَلَيْتَ لقد عَافَيْتْ). ومن نظر في مصيبة غيره هانت عليه مصيبته.

تمَّ الكتاب

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات والصَّلاة والسَّلام على سيِّد البريَّات نبينا محمد وعلى آله وأزواجه الطَّاهرات.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة




الفتح للصف والإخراج
أبو يحيى علي بن إسماعيل
TEL.00201002421106
A L F A T H